أسئلة الرواية كما يجيب عنها الدكتور سهيل إدريس

سليمان كشلاف

- ١ -

كان من أهم ما كشف عنه (د. طه حسين) في سيرته الذاتية «الأيام» هو المستوى الذي وصلت إليه أكبر مؤسسة تعليمية دينية في الوطن العربي والعالم الإسلامي في تلك الفترة، وهي «الأزهر»، من تحجّر في الفكر وهبوط في مستوى مناهج التدريس، بحيث لم تصنع من الطالب الأزهري سوى آلة تسجيل تعيد إلى المسامع ما لُقّنت، بل وتزيد تفكيره تحجّراً وتقوقعاً وفهماً غير سليم لجوهر الدين وروحه.

ولم تكن ثورة «طه حسين» على المؤسسة الدينية ممثلة في الأزهر صرخة واحدة ووحيدة. فمنذ كان القرن التاسع عشر يشارف على نهايته وحتى منتصف القرن العشرين شهدت الأرض العربية على امتدادها، شرقاً وغرباً، صيحات كثيرة ترتفع مطالبة بالإصلاح، وتخط برنامجها الإصلاحي في دعوات مكتوبة تتوالى انفجاراتها بما يشبه القنابل الموقوتة، فلا ينتهي دويّ واحدة منها حتى ينبعث صوت انفجار أخرى ولكن بصوت أقوى وبدائرة أوسع.

ومنذ أن كتب «رفاعة الطهطاوي «كتاب» تخليص الإبريز في تلخيص باريز «سنة ١٨٣٤ م عارضاً فيه ملاحظاته وتجربته وتفسيره ودعوته لتحقيق مبادىء «الثورة الفرنسية» في «الحرية والاخاء والمساواة» توالى ظهور مجموعة من المفكرين الرواد الذين رفعوا شعار الدعوة إلى الإصلاح في الدين واللغة والحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية بالانفتاح على العلوم العصرية التي يمكن لها أن تعجل وتقنن تلك الاصلاحات[١].

ومن خلال هذه الكوكبة من المفكرين، من خلال حيواتهم وتجاربهم ومعاناتهم وكتاباتهم وصراعهم، تبرز مجموعة من الملاحظات كأنها القاسم المشترك الأعظم فيما بينهم، فأغلبهم من ذوي النشأة الدينية، اجتماعياً ودراسياً، وكان تخرجهم وخروجهم من وعلى المعاهد الدينية ممثلاً في أكبرها وهو الأزهر.

كما أن أغلبهم لم يُقِمْ في مكانٍ واحد، بل تعددت أماكن إقامتهم في أكثر من بلد، إما لغرض الدراسة أو نفياً من السلطة السياسية أو هروباً منها.

كذلك فإن أغلب هؤلاء المفكرين كان على احتكاك كامل بالغرب الذي يكاد ينحصر في «فرنسا» وفي الثقافة الفرنسية، كما نلمس لمساً مباشراً تأثيرات الثورة الفرنسية والدستور الفرنسي بتعديلاته، إلى جانب أفكار «مونتسكيو» و «جان جاك روسو».

وبرغم سطوة وسلطان المؤسسة الدينية وبجمود التفكير الاجتماعي بتأثيرات الخلافة العثمانية، فإن ذلك لم يمنع من أن يوجه إليها النقد بشكل مباشر أو غير مباشر، مما استدعي تدخلها لمصادرة أو طلب مصادرة ما لا يتفق ووجهة نظرها[٢] التي كانت

صدى لوجهة نظر السلطة السياسية، وإلى توقيع العقاب على أصحابها. لكن ذلك لم يمنع أن يخرج بعض هؤلاء المفكرين الذين نظروا إلى الحياة في مختلف أوجهها، دينية ودنيوية، عن وجهة نظر عصرية تخرج عن نطاق المؤسسة الدينية ليعلنوا رفضهم لمفاهيمها.

لذلك يشكل كتاب (الأيام) بأجزائه الثلاثة[٣] ما يشبه البرنامج الإصلاحي لتطوير (الأزهر) برفع الستار عن الحال ا لذي وصل إليه ابتداءً ببرامج التعليم مروراً بهيئة التدريس ووصولاً إلى (هيئة كبار العلماء)، كل ذلك من خلال سيرة ذاتية تؤرخ لأحداث أكثر منها عملاً إبداعياً يحاول أن يصنع الأحداث ويخلق لها إطاراً يحيله حياة ضاجة بالصراع والتحدي، أي أنه أعاد رواية الأحداث، وبذلك يصبح كتاب (الأيام) بلغته السلسة وأسلوبه الجميل وثيقة تؤرخ ليس لحياة (طه حسين) فقط، بل للمجتمع المصري في الريف وفي العاصمة، اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً وثقافياً، خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر.

وفي خطوة تسير أبعد من البرنامج الإصلاحي الذي عرضه (د. طه حسين) في (الأيام) يقدم الأديب اللبناني (د. سهيل ادريس) عبر روايته (الخندق الغميق)[٤] ثورة على الخلل الذي يسود النظام التعليمي في (كلية فاروق الشرعية)[٥] في (لبنان) من خلال عمل إبداعي تتوالى فيه الأحداث التي تخلق حياة تتفاعل وتضج وتنفجر عبر حياة الفتى المعمّم في مسيرته الدراسية بالمعهد الديني قبل أن يسافر إلى «فرنسا»[٦] ثم ينتهي به الأمر إلى عالم الأدب والصحافة[٧]، برحلة تمتد منذ بداية القرن العشرين حتى منتصفه.

- ٢ -

في الفصول الأولى من رواية (الخندق الغميق) تتحدد أمامنا ملامح الفتى الذي سيكون محور الأحداث خلال تلك الرحلة الزمنية الطويلة، فهو ابن لعائلة متوسطة الحال عدد أفرادها ستة، يعمل الوالد أمام مسجد ويزاول التجارة في بعض الأحيان. يقيم مأدبة شهرية لمجموعة من المشايخ وسهرة دينية كل ليلة جمعة يقرأون فيها القرآن الكريم وبعض وقائع السيرة النبوية وفصولاً من (دلائل الخيرات) تبرز لنا من صفات الفتى (سامي) جرأته، فهو الوحيد بين أخوته الذي يتجاسر ويشارك المدعوين العشاء غير عابىء بنظرات أبيه الزاجرة، بعد أن تبين له أن المدعوين لا يتركون من الوليمة شيئاً يأكله وأخوته، كما أنه يسرق الحلوى من الدكان عند عجزه عن شرائها.

يتمتع الفتى بجمال الصوت وحساسية موسيقية، وطموح إلى الزعامة، تتميز علاقته بالآخرين برقة وجدانية، أما تكوينه الجسماني فقد جعل منه فرجة للآخرين بقصر قامته، وإثارته الانتباه والضحك بمنظره محشوراً داخل الجبة والعمامة. وهو يبحث عن هدف يحققه كحافز له يضعه أمام عينيه، يحققه ليبحث عن هدف آخر.

من خلال محدودية عالم الفتى في البيت، وفي الحي الذي يعيش فيه ممثلاً في ذلك الشارع الطويل المترب، ومن خلال مهنة الأب إمام المسجد ومؤذنه، التاجر أحياناً، الذي ساهمت تلك التنشئة الدينية في تكوين عقله وتحديد قراءاته، تحددت معالم العالم الذي سيعيش فيه الفتى في المعهد الديني.

في هذه الانتقالة من العالم القديم (البيت - الشارع) إلى العالم الجديد (المعهد الديني) تزداد ملامح شخصية الفتى في الوضوح، تتحدد أكثر في اكتشافه للحياة والناس، إنه يتعرض للحرمان من بعض الأشياء في حياته الجديدة. يحرم من النوم لحضور صلاة الفجر حاضراً ويحرم من وفرة الطعام في أكله، كما أن حياته الجديدة تفرض عليه نمطاً معيناً من السلوك، أن يعتمد على نفسه وأن يدّعي الرجولة فيكابر شوقه وحنينه إلى أسرته وهو، كشيخ، بجبته وعمته لا ينبغي أن يكون شعره طويلاً تحت العمامة، وإن كان مفضلاً أن يطيل شاربه ولحيته إن أمكن، كما يجب عليه أن يكون رصيناً فلا يقفز إلى الترام قفزاً، وأن يغضّ بصره، فلا يليق بشيخ أن ينظر إلى النساء، وألا يذهب إلى السينما، فهي من المحرمات، ولا يكون له إطلاقاً أي نوع من العلاقات العاطفية.

في المعهد يصفه المدرس بأنه شيخ منحوس، وفي البيت يدعوه والده (الشيخ سامي. . الابن البارّ) وبين هاتين الصفتين داخل المعهد الديني وخارجه تتوالى اكتشافاته فيما يعيش وفيما يقرأ.

أحس رحابة العالم العقلي الذي بدأ يتلمس طريقه إليه عن

طريق القراءة والكتابة، أخذت الأسئلة تدور في رأسه وبدأ الصدام بينه وبين شيوخ المعهد، فما العلاقة بين حلاقة شعر رأسه ومقدار تحصيله في الدرس؟ لم يدرك ذلك، كما لم يدرك لماذا تضاعف له العقوبة دون زملائه لمجرد أنه تجرأ ورد على سؤال؟

ومع دخوله عالم الرجال وهو في المعهد تصاعدت اكتشافاته أكثر فأكثر، عن طريق السماع مرة وعن طريق المشاهدة مرات أخرى، أشياء كثيرة يمارسها زملاؤه في المعهد أو يحكون عنها: التدخين، مراقبة النساء من خلال النوافذ ليلاً، ممارسة اللواط في جنح الظلام بين الطلبة، ممارسة العادة السرية، زيارة المومسات الرسميات في (ساحة البرج).

ولا ينقذه من حيرته إلا العطلة الصيفية وتجربة حب تستغرقه وتخلق أمامه عالماً جديداً. فقد عرف (سمية) في قرية (المريجات) حيث أمضوا الصيف، عرفته إنساناً عادياً ككل البشر وكانت البادئة في كل شيء وهي تنسج خيوط هذه العلاقة. كانت منها النظرة الأولى والتحية الأولى والابتسامة الأولى. هي التي حددت أول موعد بينهما، وهي التي بدأت كلمات الغزل الأولى. كان دوره في كل هذه الأمور منذ بدايتها دور (المتلقّي المستجيب) لكنها وهي ترتدي سروالاً أزرق وقميصاً أحمر ويرتدي هو الزي المدني، ترفض دعوته لأن يسير معها «أرجوك... لا تذهب معي.. أنت شيخ»[٨] وهو ما كان يختلف عن رأي والدها: «لقد أحببنا أذانك.. وأبلغني والدك الآن أنك شيخ، فهل تسمح بأن ترتدي الجبة والعمة لنرى قليلاً؟»[٩].

رغم الجبّة والعمة تتجاوز علاقة «سامي» بـ «سميّة» هذا المظهر الشكلي، مع اختلاف وجهة النظر فيه من الأطراف الأخرى. ينمو الحب بينهما ويعرف به الآخرون، تتحدد جهود الأسرتين في الفصل بينهما ومنع لقائهما، يزداد الرابط الإنساني في قلبيهما بتكرار اللقاء رغم الموانع المرفوعة فلا يفصل بينهما إلا نشوب الحرب العالمية الثانية ومغادرة المصطافين لقرية (المريجات)، حيث يتجه هو إلى المعهد وتسافر هي إلى (مصر).

يصمم الفتى على استبدال الجبة والعمة بالزي المدني. ويصمم كذلك على مواصلة دراسته المدنية، ويبدأ في ممارسة العمل الصحفي والأدبي، وخلال ذلك كله كانت علاقته بـ (سمية) قد تحددت وهما متباعدان كل في بلد، فلا يربط بينهما إلا رسائل بريدية تستمر في التباعد حتى تنقطع.

يخوض الفتى صراعه ذلك متحدياً أخاه ووالده ومجتمع الحي الصغير الذي يعيش فيه، ينجح في ذلك وتستمر خطواته واثقة في المجال الصحفي والاعلامي، وعن طريق الاذاعة يتحقق لقاؤه من جديد مع (سمية) ليكون ذلك اللقاء الفصل الختامي في حكايته معها.

مع ثبات خطواته ترتسم الأحلام من جديد في ذهنه، أن يواصل دراسته العالية للصحافة في (فرنسا) وأن يصبح صاحب صحيفة يؤدي فيها عملاً مفيداً لأبناء قومه. أحلام لكنه يعمل من أجل تحقيقها، كما يخوض من جديد معركة إلى جانب أمه، ومعه بقية أخوته عندما عرفوا أن الوالد قد تزوج من امرأة أخرى حتى يدفعوه إلى طلاقها، وإلى جانب أخته (هدى) من أجل أن تنزع الحجاب، ويرعى في الوقت نفسه العلاقة العاطفية التي نشأت بينها وبين صديقه وزميله (رفيق) حتى تتحقق خطبتهما، وحتى تنزع (هدى) الحجاب وهي في طريقها إلى قاعة الامتحان.

خلال ذلك يمرض الأب بعد كثرة المصادمات التي حدثت بينه وبين زوجته وأبنائه ويصاب بالشلل إثر معركة مع (هدى) وهي تظهر نيتها لنزع الحجاب، ولا يطول به الأمر كثيراً حتى يختطفه الموت وهو على فراش المرض.

ولا تغير وفاة الأب من حياة الأبناء، فقط بدلاً من أن تسافر (هدى) إلى (مصر) لانهاء دراستها العالية تبقى مع الأم ليتم بعد ذلك زواجها من (رفيق). أما (سامي) فيستمر في تحقيق برنامجه.

وتنتهي الرواية و «سامي» على ظهر الباخرة يرفع ذراعه يلوح لمودعيه، تطوف به الأحلام التي أصبحت هدفاً والباخرة في طريقها إلى «فرنسا».

- ٣ -

منذ البداية يحدد لنا «د. سهيل ادريس» الواقع الاجتماعي الذي يسود حياة الأسرة الصغيرة المحافظة التي تضع كل مقاليد

الأمـور في يد الأب، فينشـأ الجميع تلك النشـأة الـدينية التي تحكم سلوك جميع أفرادها في علاقتهم ببعضهم وفي علاقاتهم الخارجية بالأقارب والمعارف وفي الحي الصغير.

ينشأ الفتى «سامي» وسـط هذا الجـو المحافـظ، في البيت وخارجه، وقد بدأت معالم شخصيته في التفتح بجزئياتها لتكوّن منه في النهاية ذلك الانسان الذي يرفع راية العصيان في وجـه السائد ويحاول أن يدفع العجلة إلى الأمام بدلاً من دورانها إلى الخلف.

فهو يضع دائماً هدفاً محدداً أمامه في بدايته لعمل والاسراع في الانتهاء منه. إن الحافز يدفعه بالحاح والهدف أمامه واضح. لذلك لم يكن يعنيه رأي جماعة الشيوخ ضيوف أبيه في قراءته من كتاب «دلائل الخيرات» بمقدار ما كان يرغـب في الانتهـاء من القراءة للحصول على المكافأة التي وعده بها والده، المصحف الصغير المذهب الحواشي. ولم يكن يهمه أن يفهم «الأحاديث النووية» الأربعين بمقدار ما كان يهمه ألا يخطـىء في سردهـا وحفظها للحصول على الهدية الثمينـة، قلـم الحبـر، الـذي وعده قريبه الثري باهدائه له. وهو يستعجل الالتحاق بالمعهد الديني ليمكن له ارتداء العمامة والجبة فيكتمـل له بهمـا مظهـر الشيخ الصغير، لينتشي ويحسّ أن ما على رأسه تاج لا عمامة. ويندفع بحماس لترجمة رواية «مولن الكبير» وكأن انتهاءه من الترجمة هو في نفس الوقت وصول إلى قلب «سمية» الفتاة التي يحبها.

وينتقل إلى العالم الجديد الذي كان يوماً أملا له وهدفاً سعى إليه يحدوه فيه طموح كبير قاده إليه مسار اختطّته عدة عوامل، الوالد الامام المؤذن، البيئة المحافظة بكل ما تضمه في إطارها، الدراسة المبكرة في الكتاب، القراءة المبكرة للكتب الدينية، وازع أخلاقي يجعله يكفّر عن جريمة سرقة الحلوى من الدكان، وطموح إلى ارتداء الجبة والعمامة. كل ذلك وهو لم يصل سن البلوغ بعد.

فرضت عليه حياته الجديدة نمطاً معيناً من الحياة وأخضعتـه لقالب اعتصره وحدد مجال حركته ومجال سلوكه، فالأيام الستة التي يقضيها كل أسبوع داخل المعهد الديني نبهته إلـى مشاعـر جديدة تنتابه ويحس مسؤوليتهـا، ومـن ثم، فإن الـزي الدينـي الذي كان حلماً في خياله، ناضل من أجل الحصول عليه في أقرب وقت، قد زاد في تحديد مجال سلوكه وتصرفاته أكثر، ليتكيف مع المجتمع الـذي حدد موقعـه من خلال انتمائـه إلـى رجال الـدين كدراسـة دينية اكتملـت مواصفاتهـا الظاهـرية في ترسيمه كشيخ بالزي الديني، والشيخ من وجهة النظر الاجتماعية محروم من أن يكون مثل بقية البشر طرفاً في علاقة عاطفية.

مع كل هذه القيود بدأ «سامي» يحس أن عالمـه يضيق أكثر فأكثر، وأنه يحسّ الغربة في حيه، فعالمه الجديد أصبـح يلقـي ظلاله عليه ويحيطه بسور مرتفع، بل إنه يكاد يفقـده كل شريط الـذاكرة القديمـة، وكل من كان له به علاقـة من رفاقـه في (الكتّاب) والحي، ويمتد ذلك السور حتى إلى علاقاته مع إخوته في البيت، ويصل به الضيق إلى الزهد في الخروج من البيت يوم العطلة بعد أن يكون قد أمضى ستة أيام داخل أسوار المعهد.

وسط هذا العالم المحـدود انفتحـت له نافـذة تأتيه بالنسمـة المنعشة وتحسسه بالعالم اللامحدود الذي يمكن له أن ينطلق فيه كنسمة تهفهف، كموجة بحر تحمل كل عنفوان الأعماق، كطائر يحلق في الأعالي، كغزال يشرد منطلقاً بين كثبان الرمال، أحس حاجته إلى القراءة في الكتب الفرنسية فداوم عليها، يتلافى نقصاً في دراسته النظامية، بالرغم من المجهود الشاق الذي يعانيه في سبيل ذلك، كأنه يتحسس حاجته إلى اللغة الفرنسية في تحقيق هدف جديد لم تتضح صورته أمامه بعد.

ازداد ميله إلى قراءة المجلات الأدبية، ليجد في مطالعتها لذة خاصة، وليبدأ في ذهنه يقين يتكون بأن الكتاب والقلم وحدهما في عالمه المغلق، سيكونان النافذتين المفتوحتين على الـدنيا، وكأنه في ذلك يعود إلى النبوءة القديمة التي راودت خاطره عند حصوله على المصحف والقلم من والده وقريبه الثـري، فيزداد تعلقه بما يختاره من كتب ويزداد مله مما كانوا يختارونه له في المعهد للدرس.

ومن خلال ما قرأ واستوعب، من اختياراتـه ومما درس في المعهـد بدأ يتـكون له رأي جديد فيمـا قرأ ويقـرأ، فيمـا عاش ويعيش، فيما شاهد ويشاهد، فيما لامس ويلامس. ومع اجتيازه عتبة البلوغ كانت الأفكار في ذهنه تتصـارع والمشاهـد تتوالـى والتناقضات تصل أشدها والاكتشافات تتابع واحداً وراء واحد.

كأن (د. سهيل إدريس) يمحـور صراع «سامـي» مع نفسـه ويكتشف العالم المحيط به كما يكتشف نفسه، خطوة خطوة،

متتابعة، واثقة، لينطلق به مع وصوله سن الرشد وتمعنه فيما قطع من طريق وما هو مرسوم له، أو كانت له يد في رسمه، لاعادة النظر فيما كان وتصحيح المسار لما سيكون. وبين صفته في المعهد كشيخ منحوس وصفته في البيت كابن بار، يحس جلال العالم العقلي الذي عرفه عن طريق القراءة والكتابة، فأصبحت قناعته بأن ما يدرسونه من كتب في المعهد عديمة الجدوى، كأنها ماتت مع أصحابها منذ قرون خلت، وبدأ شكه فيما يدرس من أحاديث نبوية نسبت إلى الرسول الكريم وهي تخالف كل منطق وعقل. ووجد راحته فقط في قراءة وترتيل القرآن، وردد أكثر سور القصص القرآني.

ومنذ أن رنّت صفعة ناظر المعهد على خده وهو يصيح في وجهه « ـ احترم الجبة والعمة ـ»[١٠] واكتشافه للقيود التي يضعه داخلها زيّه الديني أدرك أن الاحترام الذي يوجهه المجتمع إلى رجل الدين موجّه بالدرجة الأولى إلى ما يرتديه، وفطن إلى تلك الازدواجية التي يعيشها زملاؤه في المعهد والتي جرب عيشها بعد أن خلع الجبة والعمامة خلسة. إنه من جديد يتعرض لمحنة تؤرّقه وتوقظ ضميره، وإذا كان قد جرب السرقة في المرة الأولى ولم يجد لنفسه خلاصاً رغم أنه أعاد الحلوى المسروقة إلا بالتكفير بالاتجاه لأن يصبح شيخاً، فهو الآن وقد أوى إلى فراشه بعد أن كذب ودخل مكاناً مشبوهاً وأهان جبته وعمامته، لا يجد خلاصاً إلا بأن يحتقر نفسه ويذلها، لكنه لا يستطيع أن يمنع تلك الأحلام الجنسية التي لا زالت تراوده.. ولا يملك وقد دخل عالم الرجال إلا أن يستسلم لها. أن انعكاس كل هذه العوالم على حياته كشيخ ضمن السلوك الاجتماعي العام ودخوله في عالم الازدواجية ثم احتقاره له بنفي كل أحاسيسه كإنسان له روح وجسد من حقه أن يعيش حياته كما يعيشها البشر العاديون هو الذي يفضي به الموقف النهائي في اختيار الظاهر أو الباطن مع أول تجربة حب يخوضها.

تلك كانت نقطة فاصلة وبداية لاحساس جديدة بالكره للزي الديني بمثل ما كانت احساساً جديداً بالحب لـ «سمية».

إذا كانت صدمته في المعهد بوفاة صديقه «عزيز» الذي فتح له الطريق أكثر في حب الأدب وربطته به علاقة وجدانية أحس معها لفقده بصدمة كبيرة، ربما كانت عاملاً مساعداً في أن ينغمس أكثر في دنيا الأدب ويكثر من قراءاته ومحاولة ترجمة بعض القصص الفرنسية، فإن موقف «سمية» الذي تلخص في طلب الابتعاد عنه لأنه شيخ قد ولد في نفسه إحساساً عميقاً بأنه قد يفقدها كما فقد «عزيزاً» قبلها، وربما ارتسم في ذهنه الموت مرادفاً للزي الديني، وبالتالي فان ابتعاده عن ارتدائه هو في نفس الوقت دفع للموت عن إنسان يحبه. وهكذا فإن استمراره في تلك العلاقة بعد ذلك وارتباطه أكثر بـ «سمية» رغم معارضة الجميع كان تحدياً للموت في الوقت نفسه. طالما أن الحجة التي كان يلجأ إليها الجميع أنه «شيخ ابن شيخ» لا يليق به أن يخوض علاقة غرامية مع ابنة الجيران أو حتى أن يتجاوب مع نسمة حب تأتيه عبر الأيام، وأنه يتصرف كما لو أنه لم يكن شيخاً.

لقد اتّحد رأي الجميع، انتصبت جبهة ضده في البيت تتابعه وتراقبه وتحصي عليه حركاته. إنها وجهة نظر المجتمع ممثلة في الأسرة، دفاعاً عن قيم صنعها المجتمع ولأنه شيخ فانه يجب أن يكون مجرداً من العاطفة، محروماً من الإحساس البشري الوجداني ولا يعطي المجتمع أحكامه هذه فقط، ولكنه أيضاً يمنع مناقشتها ويحرم الآخرين من مجرد الدفاع عن أنفسهم، يمنع أن يقوم حوار حول صلاحية تلك الأحكام والمقاييس، مع تغيير الزمان، ويخضع أفراده لـ (تابو) جاهز يرفع في وجه كل من يحاول أن يقول «لا».

لكن تجربة الحب في نفس «سامي» أقوى من كل الأشياء، كأنها تخلخل كل ما عاش فيه طيلة حياته السابقة لتعيد بناءه من جديد وتبث فيه روحاً وقوة وعنفواناً تجعله يتحدى كل من وقف في طريقه، يتركز الهجوم أكثر وصوت أخيه يرتفع مجلجلاً في أذنه: « ـ إنه عار عليك.. عار على عمّتك أن.. تحب»[١١].

إحساس «سامي» بالغربة وسط المجتمع الذي يقف ضد حبه لـ «سمية» جعله يكفر بالجبة والعمامة يوماً بعد يوم حتى يحس كأنها لعنة لا تزول إلا بنزعها عن جسده، وكأن اندلاع الحرب العالمية الثانية كان إيذاناً باندلاع الحريق في أعماقه، فالقلب الذي خاض أول تجربة حب له ما زال يخفق لها بعد ثلاث سنوات من الفراق، قد امتلك الجرأة لنزع الجبة والعمامة وفي ذهنه صورة لرد الفعل الذي يمكن أن يحدث ضده بعد أن أوقدت النار واتسع الحريق.

سيثور الحي كله لهذا العمل رغم أنه شأن خاص به، فهو تحدّ عنيف لهم، لقد وثقوا به وباركوه عندما ارتدى الجبة والعمامة وأصبح شيخاً رغم صغر سنة[١٢] وحداثة تجربته واعتبروه سنداً لقيمهم وسلوكهم، أما الآن وبعمله هذا فهو يمثل النقيض لهم من وجهة نظرهم، كما أن موقف أسرته منه لن يقل سوءاً، ويتوقع «سامي» أن يكون موقفاً عنيفاً جداً، لأنه خرج عن قيم وأعراف من يحيط به داخل مجتمعه.

لكن «سامي» صمم على المواجهة، وعندما ردّ على أخيه الكبير «فوزي» وهو يسأله عن سبب خروجه دون الجبة والعمامة «ـ إن هذا أمر لا يعنيك»[١٣] كأنه يجرب صمود إرادته في وجه العاصفة التي ستهب عليه وهو يواجه أباه، فالحواروالمنطق لا يجديان في إقناع الأب، ويزداد الحريق اشتعالاً مع الشتائم المندفعة من فم الوالد واتهامه إيّاه بالزندقة حتى تتطور إلى استخدام القوة في إقناع «سامي» بإعادة الأمور إلى ما كانت عليه، تفلت أعصاب الطرفين وكل من الأب والابن ينفجر في وجه الآخر لينتهيا إلى حالة من الانهيار.

انتهت الجولة الأولى في الصراع بين الأب والابن، وإثر الافاقة من المواجهة الأولى واسترداد الأنفاس يقرر «سامي» الاستمرار في تمرده مع إبداء رغبته في مواصلة دراسته العالية، فيبدأ الأب في ممارسة ضغوطه لاخضاع الابن برفض دفع أي قسط من أقساط المدرسة من ناحية وإهمال أمره وعدم الاهتمام بشئونه من ناحية أخرى.

مع ممارسة «سامي» للعمل الإعلامي والأدبي الذي وجد فيه إلى جانب تلبيته رغبته في دراسة الأدب والكتابة مورداً يكفي لاستقلاله الاقتصادي والخروج من دائرة ضغوط والده، فيكفل هذا المورد شؤون حياته المادية، يكون عمله هذا بداية أيضاً لعودة اتصاله بـ (سمية) التي استمعت إليه يروي قصة من تأليفه في الإذاعة، وعند لقائهما من جديد بعد غيبة سنوات يقع في حالة إحباط، فالمرأة التي قابلها، والتي تزوجت في «مصر» من ابن عمها ورزقت منه ولداً، دخلت المجتمع الأرستقراطي وأصبح لها مركز اجتماعي مرموق، وهي تقضي الصيف في «لبنان» لقد تغيرت تماماً. النضارة حلت محلها مستحضرات التجميل، العينان السوداوان العميقتان اللتان تشعان حياءً تطل منهما نظرات سافرة ليس فيها إثارة ولا غموض، وأصبحت ممشوقة الجسم في ثوب أسود عاري الكتفين والصدر، كأنها ممثلة أجنبية.

لقد انتهت «سمية» كما انتهت أمور أخرى كثيرة قبلها... «ـ كنت أعيش على الأمل ولم أكن أعتقد أن الواقع سيكون بشعاً إلى هذا الحد»[١٤].

إنها صدمة الاحباط يتعرض لها من جديد، تلك الأمنية التي كانت حلماً ثم أملاً خلاباً سعى إلى أن يحققه، يستيقظ فيه على وجهه البشع، صدمته في نظرة المجتمع إلى الزي الديني وملامسته لواقع رجال الدين أنفسهم، وتناقض الآفاق والعوالم التي يفتحها «القرآن الكريم» مع واقع ما يدرس في المعهد الديني من أحاديث غير منطقية لا يقبلها الإنسان وآراء جامدة منذ مئات السنين، وواقع الفتاة/ الحلم التي يستيقظ فيها على داعرة/ كابوس.

الهروب هو السلوك الأول الذي يجد فيه حلاً. الهروب من قيود الزي الديني الى التخفي في الزي المدني، حتى لو كان في ذلك ممارسة لتلك الازدواجية التي كرهها في المعهد الديني، الهروب من دراسة الأحاديث المدسوسة والدروس المحنطة العديمة الجدوى، إلى قراءة «القرآن» والأدب الفرنسي حتى يستقر على مواصلة دراسته العالية بعد الحصول على التوجيهية العامة.

ثم الهروب من «سمية» بعد لقائه الأول والأخير لها عقب فراق ثلاث سنوات، عند إحساسه الخيبة في هذا اللقاء، حتى تقوده قدماه إلى «ساحة البرج»[١٥].. ينفس عن شبقه بين ذراعي مومس، وينتهي ببصقة كبيرة انطلقت من فمه على قارعة الطريق.

كأن «د. سهيل إدريس» يصنع من «سامي» ذلك الانسان المثالي الباحث عن «المدينة الفاضلة» ثم يدمج فيه ذلك الثائر المثالي الذي يفيق على عالم ظاهره مختلف تماماً عن باطنه، وقد اكتشفه في البيت والشارع والمدرسة، في الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، في الأب والأخ والمدرس والحبيبة، في مجموعة «التابوات» التي أصبحت أحكامها كالأصنام، جامدة ثابتة باردة، وكأن الزمن لا ينال منها مهما طال. فيسعى هذا البطل (الإنسان/ الثائر) المثالي لأن تكون «المدينة الفاضلة»

شيئاً موجودا وحقيقياً، يقلب الأمور والأشياء بالثورة عليها، فإن لم يستطع قلبها فإن في مجرد رفع الغطاء عنها وكشفها واضحة للآخرين خطوة على الطريق الصحيح، عندما يتكشف العفن والدنس والقذارة التي تحيط به في حين تعيش في القلب منه كأن البصقة التي انطلقت من فم «سامي» نظرة إلى الخلف في ازدراء بكل تلك الأشكال الظاهرية التي لا تعكس جوهرها إطلاقاً. كأنها مفتاح الطريق للسير الواثق المطمئن إلى سلامة خطواته بعد تلك السلسلة من التجارب في اكتشاف حقائق الأشياء والبشر بعيداً عن المظهر الخارجي.

ومن واقع ثقة «سامي» بنفسه واستكماله جوانب شخصيته من خلال سلسلة التجارب والاكتشافات التي مرت به، ونمو ارادته في الصمود يستمر صراع القوى بينه وبين والده في جدل حول المحرمات أو الأحكام الدينية الاجتماعية، عادة ما تنتهي إلى وصفه بالكفر والزندقة عندما تسد أمامه كل سبل الحوار وينتهي به إلى مأزق تتوقف به كلماته على طرف اللسان.

فإيقاع حياة «سامي» يتسارع أكثر وهو يخوض صراعاً جديداً مع والده هو في حقيقته أيضاً صراع ضد نفسه وبكل ما آمن به من مثل وأفكار وسلوك اجتماعي متطور، فيستعجل الخطو برفض مقاييس وأحكام جديدة للمجتمع. إن حرية الحركة التي اكتسبها أصبحت كأنها قطعة الحجر التي تلقى في جدول الماء، لا تنتهي بمجرد سقوطها، إنها تخلق سلسلة من الدوائر تنطلق من مركز سقوط الحجر تبدأ صغيرة ومحصورة ثم تتسع تتسع، شاملة بحركتها محيط الجدول كله، لاحقاً بها سلسلة تتدافع من الدوائر الأخرى الأصغر، التي تتسع وتتسع أيضاً، في زيادة لسرعة ومجال حركتها.

فهل ما صارع من أجله «سامي» وظفر به بعد عناده من نزعه للزي الديني الى مواصلته للدراسة المدنية إلى خوض تجربة الحب يمكن أن يتكرر مرة أخرى، في صورة أخته «هدى»؟

لقد خاض معركته الخاصة في السابق، ومهما كانت قوة تلك المعركة فإنها لا تعطي التأكيد بقوة إيمانه بأفكاره وسلوكه بمقدار ما تعطيه له هذه المعركة الجديدة الحساسة والحاسمة، فهو لم يكن طرفاً فيها فقط، لكنه كان أحد صانعيها، لذلك كان التحدي لنفسه قوياً وواضحاً بمثل ما كان قوياً واضحاً تحديه لوالده وأخيه والنظرة الاجتماعية السائدة.

تبدأ المعركة عادة بإطلاقة يرميها أحد الطرفين المتنازعين، وقد رمى «سامي» إطلاقته التي أعلنت بداية الحرب وتصاعدها بعد تأكده من سداد خطاه إثر سلسلة الخيبات التي مرت بها سابقاً، فساهم في نشوء ورعاية العلاقة العاطفية التي ربطت أخته «هدى» بصديقه وزميله «الشيخ رفيق» الذي يماثله وضوحاً في الأفكار والسلوك وهواية الأدب. وتمرداً على السائد، ويتيح لهما أكثر من فرصة اللقاء والحديث، ثم يقف إلى جانبها حتى تستكمل دراستها، مقاوماً كل الضغوط التي يباشر والده في اتباعها.

«.. إنني لا أتولى تربية أختي، ولكن لا يسعني إلا أن أهتم بشؤونها. فأنا أعتقد أني أنا أيضاً مسؤول عن مستقبلها..

ـ أنت لست مسؤولاً إلا عن نفسك.

وساد صمت قصير قطعته هدى بقولها:

ـ إنني بحاجة دائماً إلى مساعدة أخي سامي، وأنا أثق به كلّ الثقة. ولم يكن أبوه بحاجة إلى أكثر من هذا حتى ينفجر غاضباً حانقاً يصب لعناته عليها وعلى الأولاد جميعاً، ويعلن أنه أصبح لا يطيق الحياة وسط هؤلاء الأولاد العاقين العصاة، وأنه بات يؤمن بأن العلم الذي يلقن في المدارس مسؤول عن هذا الجحود والعقوق.. ثم التفت إلى هدى يقول:

ـ ولهذا فقد قررت أن تنقطعي عن المدرسة التي تعلمك الفساد، وأنا أمنعك منذ اليوم عن ارتياد هذه المدرسة.. ولن أدفع لك الأقساط بعد الآن..»[١٦].

هكذا يحدد «سامي» موقفه لوالده مصعداً المواجهة أكثر، كاسباً أرضاً جديدة من ساحة المعركة، لم يكتف بأن يقف موقف المتأمل أو المراقب أو الناصح، إنه يأخذ دور الشريك، في الرأي، وفي الموقف، وفي الالتزام.

لذلك بدأت رايات الأب في التساقط واحدة بعد الأخرى، عجز في معركة الحوار أن يقنع الطرف الآخر، وتهاوت كل حججه وآرائه أمام العقل والمنطق واللغة الجديدة التي يخاطب بها، كما سقطت محاولته في ممارسة الضغط الاقتصادي بعدم دفع أقساط المدرسة الخاصة بـ «هدى» وانتهت تهديداته بهجر

المنزل هباءً باستخدام «سامي» نفس السلاح والتهديد بترك منزل الأسرة.

اتضحت صورة الموقف تماماً بعد وقوف أفراد الأسرة في صفين متقابلين متضادين: «سامي» و «هدى» والأم في ناحية يقابلها الأب والشقيق الأكبر «فوزي».

فالفكرة التي انبعثت عند «سامي» لقيت قبولاً من «هدى» ومساندة ظاهرة وخفية من الأم، في التشجيع والتستر تارة وفي المساعدة المادية تارة أخرى، لقد كانت الأم ترى في ابنتها صورة منها ومن حياتها، وقد عاشت عذاب حياتها، لكن ذلك لم يمنع أن تتطلع إلى المستقبل ممثلاً في «هدى» بعيون مفتوحة مدركة أن جيل ابنتها غير جيلها[١٧]. وأن من حق كل إنسان أن يعيش حياته وفقاً لأحكام ومقاييس زمنه لا زمن الآخرين. وتبدو «هدى» وسط هذا الصراع هي العنصر الضعيف الذي تتطاول عليه الأيدي والألسن وهي تشق درباً وتسير في طريق عبّده من قبل أخوها «سامي» وأخذ بيدها يقودها فيه، لتزداد أملاً وثقة في النفس، فهي تصمد في وجه الزوابع التي تحاول اقتلاع بذرة الحب الناشئة في قلبها، وتصمم على مواصلة دراستها، ثم تبدي رأيها في نزع حجابها بالاتفاق مع زميلاتها في المدرسة.

وعلى الضفة الأخرى يقف الوالد و «فوزي» ورأيهما فيما يتعلق بتعلم المرأة وعملها وحجابها وحريتها المسؤولة واضح، فهي عند «فوزي».

« - إن هذه امور لا تعنيك.. وخير لك أن تعودي إلى مكانك الطبيعي: المطبخ»[١٨].

كما أنها عند الأب:

«أو لم تسمع بالحديث الشريف: ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما!»[١٩].

من واقع هذا الحكم يبدأ الرأي وينتهي.

«.. وكانت حجته في ذلك أن المرأة مخلوقة للزواج وأن عملها لن يفيدها شيئاً بعد أن تجد نصيبها، فيترتب عليها أن تكون في خدمة زوجها وأولادها وبيتها..»[٢٠].

ذلك أن «فوزي» ليس إلا امتداداً لوالده، كما أن الأم ليست إلا بداية لـ «هدى» وفي ذلك اختلاف كبير في الأرض التي يقف عليها الأفكار التي يدافع عنها والمستقبل الذي يحلم به كل منهم.

«فوزي» يرى نفسه في والده ويحلم بأن يكون كما كان: الطاغية المستبد في بيته، كلماته أوامر وكل ما عداه باطل. كأن الشمس لن تشرق إلا بارادته، بنفس الأحكام وبنفس السلوك وبنفس العقلية التي تعيش ازدواجية الحياة والأفكار، بشكل يخلق انفصالاً كاملاً بين ظاهر الإنسان وباطنه، وطالما أن هذا الانفصام غير واضح لدى الآخرين، يتم في الظلام ويستتره الظلام، فلتبق الأمور كما هي، ولتبق كل المحرمات سيفاً معلقاً على رقبة كل من يجرؤ على الهروب من تلك الازدواجية بالوضوح محاولاً السير في ثقة إلى الأمل وإلى المستقبل.

أما الأم فقد عاشت حياتها ضمن هذا السلوك الاجتماعي المعوج، قاست ظلمه ومرارته وعانت خيباتها الكثيرة على امتداد حياتها، دون أن يحس الآخرون ودون أن تعترض بكلمة. لذلك فهي أيضاً تجد في «هدى» نفسها، لكنها لا تريدها على الصورة التي عاشتها هي، تريدها أن تحقق أملاً، حلماً، ربما كان قد راودها يوماً، تريدها أن تكون أفضل حياة وأفضل فكراً وأفضل مستقبلاً، فتقف معها، وتؤيدها مادياً ومعنوياً سراً، حتى يتفجر الموقف، فيكون تأييدها علنياً.

يتفجر الموقف بانكشاف زواج الأب مرة ثانية بعد هروبه من معركة خاسرة في بيته واجهه فيها ابنه وابنته، ولأول مرة تتحد نظرة الجميع في الموقف من الأزمة الناتجة عن الزواج، ليقف الأب وحيداً وهو يواجه زوجته وأبناءه، أعزل، قد سقطت كل دفاعاته وفقد كل سلاح، وفي حوار صاخب مليء بالسباب كشف المواقف وأوضح التناقضات، رفعت الأقنعة عن الوجوه لتظهر على حقيقتها ولتتمثل تلك الازدواجية واضحة بين كلام يقال وسلوك يتبع.

في البدايات، كان الحوار وكان الصدام يتم بين «سامي» ووالده، فيما يقف الآخرون موقف المتفرج الذي قد يؤيد أو يتعاطف وجدانياً، ثم انضمت «هدى» إلى جبهة المعارضة، تبعتها الأم بعد ذلك، وها هي الأمور تنتهي بوقوف الأب وحيداً بعد أن انضم الأبن الأكبر «فوزي» إلى جبهة المعارضة. تلتقي الآراء والارادات في الوقوف إلى جانب الأم، عاطفياً لأنها

أمهم جميعاً، وإنسانياً لأنها الجانب الضعيف المظلوم في صراع الارادات.

لقد اتضحت من قبل حقيقة «فوزي» فإذا به سكّير سارق داهر[٢١] وها هي ملامح من حياة الأب تتضح بعد تفجر الموقف، لتبدي الأم عدم اطمئنانها في حياتها معه[٢٢].

يتهاوى الأب تحت الضربات ويستمر الحوار الذي بدأ متفجراً داخل أرض ملغومة لتتوالى الانفجارات، وتشتد سخونة الانفجارات بمشاركة جميع الأطراف. ويبدو الأب ضعيفاً وهو يخضع فيطلق الزوجة الجديدة. يزداد ضعفاً والأبناء يخرجون من دائرة سخطه الاقتصادي[٢٣]، ليحس أن زمنه قد ولى أو كاد وهو يواجه التهديد بفرض عقوبة عليه كان هو يعاقبهم بها[٢٤].

ثم يتهاوى وهو يواجه التهديد بإمكانية استخدام القوة ضده إذا ما لجأ هو إلى استخدامها[٢٥] ولأن الهروب من المكان ليس حلاً، ولأنه لا سبيل إلى الهروب من الزمان إلا بالجنون، يرضخ الأبّ، يبدي ندمه، ثم يكفر عن خطيئته وقد أيقن أنه أصبح وحيداً فلا القوة تجدي، ولا الضغط الاقتصادي بقادر، ولا الحجة تستطيع أن تقنع، خرجت كل الأمور من يده وأدركه الضعف، ومع الضعف بدأت مرحلة من التنازلات رضوخاً للقوة الجديدة الناشئة التي بدأت تفرض آراء جديدة وسلوكاً جديداً.

يتراجع الأب عن قراره حرمان «هدى» من دراستها، ويدفع لها الأقساط الشهرية اللازمة للدراسة، رغم عدم قناعته وعدم قدرته على فهم ما حدث وما يحدث، لذلك فقد استقبل خبر اعتزام «هدى» نزع حجابها على أنه كفر وفجور، وكانت تلك ثورته الأخيرة وهو يشاهد البناء الذي عاش حياته من أجل رسمه وفقاً لحياته وتفكيره وقناعاته يتهدم حجراً حجراً وتقتلع أساساته بضربات مؤلمة يهتزّ لها جسده وفكره وترتج معها كل الدنيا، فلا يفيق إلا وهو مشلول ملازم للسرير، تغادره الحياة جزءاً جزءاً حتى ينتهي بنزيف في الدماغ إثر انفجار أحد عروقه.

كان نزع «هدى» للحجاب علامة شروق يوم جديد في حياة الأسرة إثر موت الحياة في عالم قديم ممثلاً في الأب وهو يلزم الفراش، عاجزاً، وحيداً، غير قادر على الفهم، مقدماً المزيد من التنازلات، فهو العجز المعنوي الذي يتحول إلى عجز مادي على شكل مرض. يتوقف نشاط الجسم، وكأنه دفاع من العقل الباطن تجاه كل الأمور التي حدثت وتحدث وليس لديه القدرة على استيعابها أو فهمها بعقله الواعي.

ورغم مرض الوالد ثم وفاته بعد ذلك فإن الحياة تستمر في الأسرة. تستأنف «هدى» دراستها وطموحها يمتد إلى مواصلة دراستها العالية في «مصر» وتخطب إلى «رفيق». ينجح «سامي» في امتحاناته بدرجة مشرفة وقد بدأت تتكون لديه آراء واضحة في السياسة والأدب وتزداد أحلامه غنى وهو يفكر في السفر إلى «فرنسا».

ومع وفاة الأب بعد ذلك إلا أن خطط الأسرة لم تتغير إلا قليلاً حيث لم تستطع «هدى» أن تسافر إلى «مصر»، أما «سامي» فاستقل الباخرة في طريقه إلى «فرنسا».

وهكذا ينهى «د. سهيل ادريس» جزءاً من رحلة بطله إلى المستقبل الذي ساهم في تعبيد الطريق إليه، في صورة حالمة لشاب تقلع به السفينة إلى حيث يحب وإلى حيث يحس أن جميع أحلامه في انتظاره لتحقيقها، يلوح بيده لأحباب تركهم على الشاطىء وفي القلب فرحة ودمعة.

ورغم أن «د. سهيل ادريس» يحدد تصوره لرواية (الخندق الغميق) في أنها «لم تكن تقصد إلى انتقاد هؤلاء الرجال، بقدر ما كانت تصور حالة فردية لانسان لم يكن يحس بأنه في الموضع الذي ينبغي أن يكون فيه..»[٢٦] إلا أن هذا التصور الذي يحجم شخصية «سامي» ويظهره وكأنه محدود الأفق محدود التفكير، لا يهتم إلا بحل مشكلته الخاصة، يخالف بناء شخصية «سامي» كما ظهرت في الرواية، ذلك أنه ظهر لنا نموذجاً لكل من عمل على دفع عجلة الحياة إلى الأمام فكراً أو سلوكاً، ولم يكتف بذلك بل أصبح كصاحب الدعوة يبث آراءه وأفكاره في الآخرين ويدعوهم لسلوك نفس طريقه، يدفعه إحساس كبير بضرورة تجدد الحياة وفقاً لمتطلبات وضرورة الحياة ذاتها(*).

(*) دراسة ألقيت في ندوة اتحاد الأدباء والكتاب العرب التي أقيمت في «أصيلة» بالمغرب أواخر نوفمبر الماضي.

الهوامش :

(١) من جمال الدين الأفغاني (١٨٣٩ - ١٨٩٧م) إلى محمد عبده (١٨٩٩ - ١٩٠٥ م) محمد رشيد رضا (١٨٦٥ - ١٩٢٥ م) وفرح أنطون وشبلي شميل (١٨٦٠ - ١٩١٧ م) وقاسم أمين (١٨٦٥ - ١٩٠٨ م) وخالد محمد خالد في «مصر» ومن خير الدين باشا (١٨١٠ - ١٨٩٩) في «تونس».

ومن عبد الرحمن الكواكبي (١٨٥٤ - ١٩٠٢ م) في «الشام».

ومن ناصيف اليازجي (١٨٠٠ - ١٨٧١ م) وأحمد فارس الشدياق (١٨٠٤ - ١٨٧٧ م) وبطرس البستاني (١٨١٩ - ١٨٨٣ م) في «لبنان».

علماً بأن فرح أنطون وشبلي شميل لبنانيان مقيمان في «القاهرة» ومنها انطلقت آراؤهما.

(٢) من الكتب المصادرة «في الشعر الجاهلي» للدكتور «طه حسين» و «الإسلام وأصول الحكم» للشيخ «علي عبد الرازق».

(٣) نشر الجزء الثالث من «الأيام» لأول مرة تحت عنوان «مذكرات طه حسين» منشورات دار الآداب ببيروت.

(٤) «سهيل إدريس». رواية «الخندق الغميق» منشورات دار الآداب. بيروت ط ٢/ ١٩٧٢ م.

(٥) يسميها المؤلف في الرواية «المعهد الديني. مجلة «كل العرب» العدد (٢٥٢) ٢٤/ ٧/ ١٩٨٧ م.

(٦) موضوع رواية «الحي اللاتيني».

(٧) موضوع رواية «أصابعنا التي تحترق».

(٨) الخندق الغميق. ص ٦٥.

(٩) الخندق الغميق. ص ٦٣.

(١٠) الخندق الغميق. ٢٩.

(١١) الخندق الغميق. ص ٧٤.

(١٢) فيما يتعلق بعمر «سامي» نستنتج من خلال الاشارات داخل النص إلى التالي:

أ - أنه أمضى العطلة الصيفية في قرية «المريجات» وغادرها قبل نشوب الحرب العالمية الثانية بثلاثة أيام (ص ٨٦) والحرب العالمية الثانية بدأت في ١ سبتمبر ١٩٣٩ م.

ب - إشارة إلى أنه لم يبلغ العشرين بعد (ص ١٥١). وكان قد أنهى تلك السنة دراسته المدنية إضافة إلى المعهد، تمهيداً لدراسته العالية.

جـ - إشارة إلى أن مدة فراقه عن «سمية» ثلاث سنوات، وذلك منذ اندلاع الحرب (ص ١٠٣).

د - اتضحت تحت نيته بخلع الزي الديني الذي يرتديه من أربع سنوات. (ص ١٠٦) وبترتيب هذه المعلومات نجد أنه في سنة ١٩٣٩ م كان عمره (١٧) سبعة عشر عاماً. أي أنه من مواليد ١٩٢١ م تقريباً، وأنه التحق بالمعهد وسنه دون (١٦) الستة عشر عاماً لم يبلغ بعد، وبالتالي فإن ثورته ضد الزي الديني وهو لم يكمل العشرين من عمره كانت خلال سنة ١٩٤٢ م تقريباً.

(١٣) الخندق الغميق. ص ١٠٨.

(١٤) الخندق الغميق. ص ١١٩.

(١٥) الخندق الغميق. ص ١٢٠.

(١٦) الخندق الغميق. ص ١٣٢ - ١٣٣.

(١٧) الخندق الغميق. ص ١٦١.

(١٨) الخندق الغميق. ص ١٤٢.

(١٩) الخندق الغميق. ص ١٢٥.

(٢٠) الخندق الغميق. ص ١٥٩.

(٢١) الخندق الغميق. ص ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠.

(٢٢) الخندق الغميق. ص ١٥٠.

(٢٣) الخندق الغميق. ص ١٥٩.

(٢٤) الخندق الغميق. ص ١٥٧.

(٢٥) الخندق الغميق. ص ١٥٩.

(٢٦) رداء على سؤال يقول: « - الخندق الغميق هي رواية الشيخ الصغير سهيل ادريس أيام كان في المعهد الديني؟».

أسامة خير الله. (الدكتور سهيل ادريس لكل العرب: لم تستطع أي مجلة أدبية عربية أن تحل محل «الآداب»!) مقابلة صحفية مع د. سهيل ادريس مجلة كل العرب. العدد (٢٥٢). ٢٤ يوليو ١٩٨٧ م.